مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد01 بتاريخ 15 جانفي 2020م
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ظلال إنسانية في شعر الرابطة القلمية

Human shades in the poesy of pen league

د: محمد بوعلاوي[1]
Dr: mohamed boualaoui
جامعة محمد بوضياف المسيلة
University mohamed boudhiaf msila
bouali58@gmail.com

تاريخ الارسال:2019/05/29م تاريخ القبول: 2019/06/06م

ملخص:

عالجت هذه الدراسة تجلي النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، التي كان ولا يزال لها أثرها في الأدب العربي الحديث عامة، وفي الشعر بشكل خاص، وقد مثّل شعرهم ثورة فكرية وفنية حين حمل الرابطيون معهم إلى مهاجرهم أصولا أدبية، مستمدة من تراثهم العربي، أما قصائدهم فتغمرها سحابة من التشاؤم، مصدرها الغربة والحنين إلى الأوطان، ولهم رؤى فلسفية للحياة وللغيبيات، أما التجديد في أشعارهم فقد تجلى من حيث الشكل والمضمون، كما حمل شعرهم رسالة إنسانية تنادي بحرية الشعوب، وقد اتسمت قصائدهم بالوحدة العضوية: وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي، أما صورهم الفنية فأغلبها مستمد من الطبيعة، لغتهم تعبيرية موحية، وتوسلوا بالرمز أحيانا، مما أضفى نوعا من الغموض على قصائدهم، كما استمدوا بعض المعاني من التراث العربي القديم.

الكلمات المفتاحية: النزعة الإنسانية – شعر – الرابطة القلمية – الشكل – المضمون

[1] المؤلف المرسل د: محمد بوعلاوي Bouali58@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:

This study have treated the causes and manifestation of humanism in thetendency in the poetry of al Qalamiyahconvenant human , an association which had and still have it'saffects on modern Arabic literature in general and specially on literature, and their poetry represented a revolution in both thought and art, As the Associations carried with them literatures foundations to their new immigrated homes , descended from their Arabic roots.

Their poems are overwhelmed with clouds of pessimism, the source of it is homesickness and alienation, and they have a philosophical visions of life and the unknown , as for renovation of their poetry it manifested in a shape and content . Their poetry carries humanitarian message that calls for liberations of peoples, their poems had organic unity, unity in subject and in the physiological atmosphere. As for the artistic imagery it is wholly drived mostly from nature. The language is expressive and suggestive . Sometimes the took icons as means , which gave a kind of mystery over their poems. And they drived some meanings from the old Arabic heritage.

Key words : Human - Poesy -shades – pen league –

مقدمة:

النزعة الإنسانية في جوهرها هي الدعوة إلى مجتمع تسوده الفضائل الإنسانية، ويشعر كل إنسان بالود والاحترام إزاء أخيه الإنسان، فلا استعمار ولا استعباد بل إخاء ورخاء، والإنسانية محورها الإنسان الذي لا تتم إنسانيته إلا إذا تحرر من ربقة الشبهات، فمتى تحرر منها، حلّق عاليا بنفسه نحو الكمال الروحي متجاوزا حدود الزمان والمكان، مطلقا العنان لخياله لتحقيق أهدافه المنشودة، وقد تجسدت هذه النزعة في شعر الرابطة القلمية فكرا وفنا من خلال مضامين وموضوعات هذا الشعر وملامح تفرده. فما دواعي بروز النزعة الإنسانية في أدب الرابطة القلمية؟

وأين تجلت هذه النزعة في أدب الرابطة؟

إن جوهر الآداب والفنون جوهر إنساني أصيل، فهو يشخّص الحياة تشخيصا جليا، ويقدّم نماذج قد تثير الإعجاب والاستنكار، «إن الآداب والفنون تملك إنسانية عنيدة غير عادية في مقاومتها» (رالف بارتون بيري، لبنان، 1989، ص89-90.)

فالأدب يوسّع مجال التجربة المباشرة، وينقلها بشعور وإحساس ويحرك الخيال ويعبر عن رؤى البشر، وأشواقهم المختلفة، ويبعث شعورا بالسموّ الخلقي، ويسعى إلى تغيير الواقع عن طريق النقد الإيجابي الفعال، والسموّ بالإنسان إلى إنسانيته.

أما علاقة الإنسان بالآداب، فالملاحظ أن هذا المفهوم قد شاع عند أدبائنا منذ مطلع القرن الماضي، «وبات الشعراء والأدباء يلتفتون حولهم، ويعايشون مجتمعهم، والمجتمعات الإنسانية عامة، على اعتبار أن دائرة العالم باتت ضيقة، ومجال الاتصال بكل البيئات في كل بقاع الأرض ميسرا، وسريعا بحيث أصبح الأديب تهزه الأحداث الجسام، في أماكن بعيدة عنه، وغريبة عليه، لغة وتاريخا ومجتمعا ودينا» (محمد إبراهيم حور ، العين، 1985، ص 15)، ومن هنا تجسّد المفهوم الحقيقي لمعنى الإنسانية.

بيد أننا نلاحظ أن النزعة الإنسانية في الأدب العربي الحديث ضعيفة إلى حد ما، «إن النزعة الإنسانية في الأدب العربي الحديث ضعيفة ... وعلة ذلك أن الأدباء لا يزالون يتعالون على الشعوب التي يعيشون بينها» (سلامة موسى وآخرون، 1953، ص 07)، غير أن الجوانب الإنسانية طغت على شعر أدباء الرابطة القلمية وصارت من أهم خصائصه، وهذا لأسباب عدة أهمها معاناة الغربة، «متشبهين بالطبيعة التي تنفع الناس أجمعين، ولا تفرق بين أحد منهم، تفيد المخلوقات كلها دون النظر إلى مراتبها أو درجاتها (نادرة جميل سراج، مصر، 1989، ص18)

إن كثرة تفكير شعراء الرابطة بالنفس، وتأملهم في أحوالهم، وأحوال مجتمعاتهم، جعلهم يسأمون من الدنيا ولا يعجبون بها،« فنجدهم يفكرون في شؤون الموت وهذا ولّد عندهم نزعة إنسانية صوفية تأملية، جعلتهم لا يأبهون بالحياة وما فيها من مرح ولهو زائل» (المرجع نفسه، ص 13)

، فراحوا يتطلعون إلى عالم إنساني، يسوده الإخاء الإنساني الشامل البعيد عن الحواجز والعقبات التي تفرق بين البشر.

وعلى الرغم من النزعة الرومانسية في شعر الرابطيين إلا أن انطلاقتهم كانت من واقعهم، فقد تعايشوا معه، وشاركوا في قضاياه. وأخذت الإنسانية تتردد لدى أدبائنا لما فيها من معان تسمو بالإنسان وتجعل منه محور الإنسانية ومركزها، ولهذا كانت أفكارهم بعيدة عن أي تعصب عرقي أو لوني أو ديني، أو اجتماعي أو حضاري، وهذه رؤية شاملة جسدها شعرهم.

ويمثل كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة الذي ظهر عام 1923، أفكار الرابطة تمام التمثيل، من الدعوة إلى التجديد وتوجيه النقد إلى مقاييس نقدية جديدة، منبعثة من حاجات نفسية ثابتة، «أجملها نعيمة فيما يلي:

1-حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية من رجاء ويأس، وفوز وفشل، وحب وكره، ولذة وألم، وفرح وحزن، وطمأنينة وخوف.

2-حاجتنا إلى نور نهتدي به في الحياة وليس من نور نهتدي به غير الحقيقة، لسنا ننكر أن الحياة ما كان حقيقة في عهد آدم، لا يزال حقيقة حتى اليوم، وسيبقى حقيقة إلى آخر الدهر.

3-حاجتنا إلى الجميل في كل شيء، ففي الروح عطش لا يرتوي من الجمال وكل ما فيه مظهر من مظاهر الجمال، فإننا وإن تضاربت أذواقنا فيما نحسبه جميلا، ونحسبه قبيحا، لا يمكننا التعامي على أن الحياة جمالا مطلقا لا يختلف فيه ذوقان.

4-حاجتنا إلى الموسيقى، ففي الروح ميل عجيب إلى الأصوات والألحان لا ندركها، فهي تهتز لقصف الرعد، ولخرير الماء، ولحفيف الأوراق» (محمد عبد المنعم خفاجي، لبنان، 1986، ص86)

ومثلت الرابطة نزعات التجديد في الأدب والشعر، ومن ثم تعرضت الحركة لنقد شديد في أماكن عدّة، حتى من كثير من المهجريين، وكانت الرابطة أقرب إلى الرومانسية شكلا، ولكن طول التأمل وعمق التجربة رفع أدبها وشعرها إلى مستويات العلم والفكر العالميين، ورسم جبران شعارا لها بريشته النفاذة الناعمة وبتصويره الرائع المبدع، جاء فيه «لله كنوز تحت العرش، مفاتيحها ألسنة الشعراء» (المرجع نفسه، ص 89)

كان أثر الرابطة في الشعر العربي عظيما، فقد دخل إلى الشعر العربي نوع جديد من الشعور ومن صدق الرؤيا، ومواقف جديدة نحو الحياة والإنسان ووضعيته على الأرض، وكان من أثر الرابطة كذلك أن بلغ الشعر مرونة أكبر في اللغة والوزن والإيقاع وتغيرا واضحا في اللهجة، وقد أظهر الوطن العربي اهتماما كبيرا جدا بمنشورات الربطة، «وقد ظهرت في مجموعة من القصائد والقصص القصيرة والمقالات التي كتبها أعضاء الجمعية ونشرت عام 1921 بعنوان: مجموعة الرابطة القلمية» (سلمى الخضراء الجيوسي ، لبنان، 2007، ص 168)

عوامل ظهور الرابطة القلمية: هناك أسباب كثيرة أدت إلى ظهور الرابطة القلمية، من أهمها: عامل الهجرة، فلولا هجرة الأدباء وارتحالهم من ديارهم في الوطن العربي كلبنان وسوريا إلى أمريكا الشمالية لما تكونت الحركة المهجرية بصفة عامة والرابطة القلمية بصفة خاصة. فالتجارب العديدة والاحتكاك وليد الهجرة، وتعلمهم وثقافتهم ومطالعاتهم وليدة الهجرة أيضا، والتباين الملحوظ في شعرهم من تقليد إلى تجديد نتيجة الهجرة إلى أمريكا الشمالية، وحتى فلسفة الشعراء ذاتها ونظرتهم إلى الحياة ما كانت لتكتمل وتظهر لنا بهذا الشكل لولا عامل الهجرة.ومن ثمّة نجد أن لهذه الهجرة دوافع من بينها: أن العرب كانوا يعيشون في مواطنهم الأصلية ظروفا صعبة وقاسية من ضيق اجتماعي واقتصادي، «كبّلت أحلامهم بقيود الواقع، فوجدوا المهجر ملاذا ومناخا يوفر لهم حرية التعبير والرأي ووسيلة للخلاص من تلكم المشاكل والعقبات التي اعترضتهم» (إبراهيم محمود خليل ، الأردن، 2003، ص210). وكان العامل السياسي عاملا دافعا للهجرة طلبا للحرية، وبحثا عن أفق أرحب للحياة الكريمة. وكذلك الصراع الذي نشأ في المجتمع العربي بين الطبقة الوسطى التي بدأت «تتبلور عندهم ثقافات العصر وطبقة الإقطاعيين أصحاب الثروة والسلطات التي كانت تقف حائلا دون تحقيق طموح الطبقة الوسطى للعدالة والمساواة بين الناس والقضاء على الطبقية، وما زاد الوضع سوءا تدخل الاستعمار الأجنبي، إضافة إلى كثرة المشاكل الاقتصادية وخاصة في لبنان» (محمد زكي العشماوي، مصر، 2005، ص 113)، بسبب ضيق رقعته وكثرة سكانه، وتنافسهم الشديد على الملكيات.

وهذا كله يصب في مجرى واحد وهو هروبهم من حياتهم وظروفها القاسية إلى الحياة الأخرى في البلدان الغربية، حيث المواساة وتحقيق طموحاتهم وأهدافهم، فكوّنوا جمعيات وروابط أدبية تؤلف بينهم وتعوضهم عما فقدوه في أوطانهم من روابط أسرية واجتماعية، فنزلوا في كندا والولايات المتحدة وفي دول أمريكا الجنوبية

وبخاصة البرازيل والأرجنتين والشيلي وفنزويلا والمكسيك، «ونقلوا اللغة العربية والأدب العربي إلى تلك المهاجر البعيدة، وكان من بين المهاجرين أدباء وشعراء، فأنشأ المهاجرون في تلك الديار النائية أدبا يعبرون به عن مشاعرهم، وكتبوا شعرا يصورون فيه عواطفهم ومختلف أحاسيسهم وتجاربهم ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى الوطن» (محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر، 2004، ص 70)، ويصفون حياتهم وما تعرضوا له من عناء وعنت.وقد تمسكوا بعروبتهم وحافظوا عليها، على الرغم مما وجدوا في الغرب من دعة وحرية ورزق أوسع، «فللعربي أن يهاجر إلى أي أرض أراد، لكنه سيظل عربيا بثقافته، بتاريخه، كما هو عربي بانتمائه»(زكي نجيب محمود، لبنان، د ت، ص 98)

النزعة الإنسانية: مما رسخ النزعة الإنسانية في ابداعهم اتصالهم بالثقافة الأجنبية التي عاشوا في أجوائها، وباتجاهات الأدب الأمريكي وبخاصة التأملية والروحية، وتأثرهم بجو الحرية التي انتقلوا إليها، فانطلقوا في ظلالها إلى آفاق رحبة بتجارب جديدة. والإنسانية نظرة حب ورحمة ورغبة في أن يعم الخير الجميع، والدعوة إلى إيجاد مجتمع أفضل تسوده القيم والمثل العليا، «وقد اتسعت نظرتهم إلى الحب، وشملت الإنسان والطبيعة، وأصبح الحب وسيلة للسلام مع النفس والمجتمع» (حسين علي محمد، مصر، 2000، ص152)

وبعثت النزعة الإنسانية في أشعارهم على التأمل في مظاهر الطبيعة، فخرج الفرد من دائرة التأمل بدروس في العطاء وحب الخير لا تجود بها عليه سوى الطبيعة نفسها، «فيعجبه في الطبيعة أنها لا تفرق بين غني وفقير، ولا بين الخير والشر، فنجومها تضيء في الليل فترشد بضوئها كل من ظل عن الطريق والنهر يبذل الماء للجميع لا يبغي على بذله جزاء» (نادرة جميل السراج، ص 210)، ويدين بهذا المذهب السمح الذي أخذه عن مخلوقات الله الكثيرة.

وحمل «إيليا أبو ماضي مبدأ الإنسانية بكل ما لديه من قوة تأملية في قصيدته "كن بلسما" التي جاء فيها:

كن بلسما إن صار دهرك أرقما // وحلاوة إن صار غيرك علقمـــا

إن الحياة حبتك كل كنوزهـــا// لا تبخلن على الحياة ببعض ما» (حسين علي محمد، ص 153)

أما المضامين التي لامسها شعراء الرابطة القلمية فهي:

الحب والألم: إن مفهوم الحب اتسع بعد أن كان مقصورا على المرأة فقط يدور حول رفيقة الصبا والشباب، «وذلك لتأثرهم بشعراء الغرب ك: لامارتين، ثم طوره ليصبح الحب بمعنى أشمل كتعبيرهم عن حبهم لأمهاتهم إذ يفيض وجدانهم ويصدر عن صادق مشاعرهم، يقول إيليا أبو ماضي في قصيدته التي عنوانها "هي": **صورتها في القلب مطبوعة // لاشيء حتى الموت يمحوها**» (مصطفى هدار، مصر، 1957، ص 93)

الحزن: شاعت ظاهرة الحزن في شعر الرابطة القلمية «ولعل سببها طول الأيام في الغربة، وبعادهم عن أوطانهم مما ولد في نفوسهم الحنين، وكان إحساس المهاجر إحساسا جادا بالزمن» (حسين علي محمد، ص 160).

والدارس يقف دون عناء على بروز هذه الخاصية في أشعارهم،يقول إيليا أبو ماضي:

كلـــــما فكرت في حاضـــــرنا// عقّني اليـــــأس عن المستقبل
قد مشى الغرب على هام السهى // ومشينا في الحضيض الأسفـــل

شعر الحنين إلى الوطن: يزخر شعر المهجريين بالحنين إلى أوطانهم، «فقد ظهر الحنين في أشعارهم فتألموا لما يصيبهم من كوارث» (أحمد موزاوي ، الجزائر، د ت، ص32)

وباتوا يعبرون عن مشاعرهم تجاه أوطانهم، وقوميتهم، وهي روابط إنسانية تربط المرء بوطنه «وتجلى ذلك في ذكر مرابع طفولتهم، وإظهار التشوق إليها والتغني بجمال بلادهم، وبما فيها من سهول وجبال وأنهار»(حسين علي محمد، ص 154). والحنين إلى الوطن وحبه، مرتبط بحرية الفكر والإرادة، وبإحساس الإنسان بوجوده الأصيل، وتحقيق ذاته، وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بالنزعة الإنسانية التي برزت في شعر الرابطيين كرد فعل لمحبتهم للوطن الذي تركوه، ولم يجدوا في العالم الجديد الجو الروحي الذي كانوا يسعون إليه، فظل الأمل يراودهم بالعودة إلى الديار. ومثال ذلك «نسيب عريضة الذي يناجي وطنه سوريا ويتشوق إلى حمص مسقط رأسه، فيردد باكيا:

أعرفتها تلك الربوع النائية؟
ما بين لبنان وبين البادية؟
الذكريات وقد بدين علانية

نادين عنك بحسرة المطرود

يا حمص ! يا بلدي وأرض جدودي» (مصطفى هدار، ص 97-99)

الطبيعة: تعتبر الطبيعة عنصرا بارزا في الشعر الرومانسي، لأنها تمثل العود إلى عالم الطهر والنقاء، والعود إلى الأصل، «فجعلها الشاعر شريكا في آلامه وعذابه فصارت الطبيعة تساوي الإنسان» (عباس بن يحيى، عين مليلة، د ت، ص 102). وهذا ما نلاحظه في أشعار الرابطيين، والتي رمزوا إليها في كثير من الأحيان بكلمة الغاب، والغابة في نظرهم هي المكان الوحيد الذي تظهر فيه الحياة الطبيعية بمظاهرها المختلفة، وتأتي مناجاتهم لها على أساس أنها حي يحس ويشعر ويفكر، ويحنو ويعطف، ويبهر ويخلب، الغاب هو الملاذ الوحيد في عالم كثير الزحام والجدل والضجيج.

ويتجلى ذلك في قصيدة «لأبي ماضي يوازن فيها قطرة الظل وروحه إذ يقول:

إن ترى زهرة ورد // فوقها للظل قطره

فتأملها كلغـــز // غامض تجهل سره

ولتكن عينك كفا// وليكن لمسك نظره» (مصطفى هدار، ص 134)

الخيال:من أمثله الشعراء الذين أطلقوا العنان لخيالهم فجادت قرائحهم بأشعار كثيرة نسيب عريضة، «الذي أراد أن يتجاوز عالم السدود والحدود إلى عالم حر طليق، فيقول:

تفتـــحت أعيـــن الدراري // واستيقظت أنفس الليالي

وهيمنت في الدجى الأماني // ورفرفت أجنح الخيال» (المرجع نفسه، ص 76)

النزعة التأملية: تسيطر الصبغة التأملية على شعر الرابطيين، فهم يشتركون في أن الميزة الكبرى لأدبهم مستمدة من صميم الحياة والنفس البشرية، وقد كان هؤلاء الأدباء في تأملاتهم يهيمون فوق البشر والحياة، ويطوفون بأخيلتهم في عوالم بعيدة ومجهولة ويحللون النفس البشرية ويحاولون إماطة اللثام عن كفة الحياة وأسرارها وطلاسمها.

ومثال على ذلك «قصيدة "الطين" لإيليا أبي ماضي والتي يقول فيها:

نسي الطين ساعة أنه طين // حقير فصال تيها وعربد» (حسين علي محمد، ص 159)

وكانت هذه أبرز العناصر التي تناولتها الرابطة القلمية في شعرها من ناحية المضمون.

أما من ناحية الشكل:

الوحدة العضوية: تمثلت في وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي، وترتيب الأفكار والصور في بناء متماسك، ويشيع هذا في الشعر القصصي، ومثال ذلك «قصيدة "الحجر الصغير" التي يرمز بها إيليا أبو ماضي إلى قيمة كل شيء في الحياة مهما كان صغيرا، يقول فيها:

سمع الليل ذو النجوم أنينا // وهو يغشى المدينة البيضـــاء

فأنحى فوقها كمشرق الهم // س يطيل السكوت والإصغاء» (حسين علي محمد، ص 173)

القصص الشعري: كتب شعراء الرابطة في القصص الشعري وهو عبارة عن مجموعة من الأفكار والتأملات تتسم بالتحليل والتعمق، ونجد القصة في هذا النوع من الشعر لم تخرج عن نظامها العام الذي يلم بأطرافها في الشعر القصصي عموما، ونجدها تفيض بألوان شتى، من واقع الحياة وخيالها ورمزها وتشعبات مذاهبها، في الرومانسية والسريالية والرمزية والأسطورية.

وهذا ما تجلى «في قصيدة لإيليا أبو ماضي بعنوان "الطلاسم" حيث يقول:

أنا في هذا وهذا عبد شكّ ويقين

وسجين الخالدين الليل والصبح المبين

هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى؟

لست أدري!» (حسين علي محمد ، ص 51)

التعبير عن التجربة الشعورية: وذلك بأن يكون الشاعر قد عايشها، أي ذاتية في غربته، ويمكن أن نمثل ذلك ب«تجربة الشاعر ميخائيل نعيمة الشعورية الذاتية، حينما ذهب إلى روسيا ورأى نهرا متجمدا فكتب قصيدة "النهر المتجمد" ومنها:

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير

أم قد هرمت وخار عزمك فانتهيت عن المسير

بالأمس كنت مرنما بين الحدائق والزهور» (حسين علي محمد ، ص 162)

ويظهر عمق التعبير عن التجربة الشعورية الذاتية عند المهجريين عندما يتحدثون عن الطبيعة، فهم يمزجون مشاعرهم بالطبيعة أو الطبيعة بمشاعرهم، فترى طبيعة جديدة، كأنك لا تعرفها من قبل، وللرابطيين ولع كبير بالطبيعة، وشعورهم رهيف بأضوائها وأصواتها وحركاتها، لأنها تفتح حواسهم على لحن الوجود، كما يبثون من خلالها أحزانهم وأفراحهم.

الرمز: ومعناه أن يتخذ الشاعر من الأشياء الحسية رموزا لمعنويات خفية، يشير إليها من غير أن يصرح بها، والرمز هو نمط من أنماط التعبير غير المباشر، يقصد من ورائه إلى التنويه ببعض الأفكار عن طريق تمثيلها في شخصيات وهمية، أو في قوالب مادية، وهي ضرب من الإيحاء في القصيدة، «وقد أضحى الرمز ظاهرة فنية يلجأ إليها الكثير من الشعراء، من أجل نقلنا بعيدا عن سطحية القصيدة وبعيدا عن نصها المباشر» (الحر عبد المجيد، لبنان، 1995، ص 72). فهو لا يأتي من المعاني والصور والدلالات فحسب، بل من المشاعر التي تصاحب ذلك، وهي مشاعر يعمد الرمزيون أن تكون غامضة، والغاية من الإبهام هو الإيحاء بأشياء أخرى جديدة.

ويتضح ذلك من خلال قصيدة "البلاد المحجوبة" لجبران خليل جبران «التي ترمز إلى العالم المثالي الأفضل الذي تطمح إليه البشرية، بحيث يقول فيها:

يا بلادا حجبت منذ الأزل // كيف نرجوك ومن أي ســـــبيل؟

أي قفر دونها؟ أي جبل// سورها العالي؟ ومن منا الدليل؟» (حسين علي محمد، ص 167)

وهناك عديد من النماذج فيها هذه الرمزية، منها على وجه الخصوص "الحجر الصغير"، "الطين"، "التينة الحمقاء ...

التحرر من الوزن والقافية:

لقد جدد المهجريون في قالب القصيدة واتبعوا نظام المقطوعات مثل جبران خليل جبران في "البلاد المحجوبة"، وميخائيل نعيمة في "النهر المتجمد"،وكان تجديد المهجريين في الأوزان الشعرية كبيرا، فقد ألفوا على طريقة الشعر المنثور، والنثر الشعري، وقد استهوتهم الموشحات الأندلسية فأعجبوا بها، ونظموا على منوالها الكثير من قصائدهم، ولعل كثرة أوزانها والحرية الكبيرة في قوافيها، هي سبب ذلك، وكان جبران يقول: «إن تعدد الأصوات يزيد في وقع القصيدة ومما يستدعي انتباه القارئ أكثر من صوت واحد» (محمد عبد المنعم

خفاجي، ص 158)، وقد أكثر المهجريون من الأوزان القصيرة، والبحور المجزوءة، بحيث «يقول نسيب عريضة من قصيدة "ترنيمة السرير":

ظلام الليلقد أطفأ نجومها تجذب الطرفا
فما للطفل لا يغفى أيبغي النومألحـــان» (محمد عبد المنعم خفاجي ، ص 159)

وما اشتمل عليه الأدب المهجري من التحرر في الصياغة والتنوع في الموضوع، ومن الانطلاق الفكري، وترى طابع هذا الأدب في كتابات أعضاء الرابطة القلمية، وهو من حيث ثراء الخيال والتحرر والتنويع في الأساليب والموضوعات أكثر طلاقة من الشعر العربي في الشرق.

الصورة الشعرية: إذا كانت الصورة الشعرية عند بعض النقاد والبلاغيين القدماء لا تتجاوز التشبيهات والاستعارات والكنايات، فمفهوم الصورة لم يكن معروفا كما نعرفه نحن اليوم، لأن المفهوم الجديد يوسع من إطارها، ولم تعد الصورة البلاغية وحدها هي المقصودة والمخصوصة بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة بالمعنى الحديث من المجاز أصلا، فتكون عبارات حقيقة الاستعمال، ومع ذلك تشكل صورة دالة على خيال خصب، يقول جابر عصفور: «الصورة هي الوسيط الأساسي الذي يستكشف الشاعر به تجربته ويفهمها أو يجسدها» (جابر عصفور، لبنان، 1983، ص 164)

فهي بهذا التعريف وسيلة كشف وتجديد، وهي وحدها التي حظيت بمنزلة أسمى عن باقي الأدوات التعبيرية الأخرى، وهذا ما جعل النقاد ينتبهون إليها ويولونها أهمية كبيرة في الشعر.

وقد استفاد الرابطيون في ممارستهم وتنظيرهم للصورة من إنجازات المعارف الحديثة، في كثرتها وتتبعها (الأسطورية، الجمالية...

وتظل الصورة وسيلة الشاعر الأساسية لجعل القراء يشاركونه أحاسيسه ومشاعره، ومثال ذلك «قصيدة "الطلاسم" لإيليا أبي ماضي، يقول فيها:

ولقد قلت لنفسي وأنا بين المقابر
هل رأيت الأمن والراحة إلا في الحفائر» (محمد عبد المنعم خفاجي ، ص 259)

خاتمة: أخيرا يمكن تلخيص النتائج في الآتي:

– كان لأدباء الرابطة وشعراؤها إرث حضاري عريق أتاح لهم فرص تأسيس وبناء أدب عربي معبر عن مشاعرهم واحلامهم.

– تجلت قيم إنسانية عدة في آثارهم مسايرة للتطور الإنساني في جميع مناحي الحياة.

– سجلوا في أمانة وعمق حرارة احساسهم وانفعالهم وادخلوا في الأدب ثقافات وأفكار وفلسفات شرقية وغربية.

– رغم الخيال والعاطفة التي تميزت بهما كتابات الرابطة القلمية، فإنها لا تخلو من الواقعية والعمق الفلسفي والإنساني.

– دعوا إلى المساواة والإخاء بين أفراد البشرية على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأديانهم.

– جاءت الصورة عند الرابطيين مجسدة لنزعتهم الإنسانية مرتبطة بتجربتهم الشعورية.

– لغتهم مشعة موحية تعكس روح العصر.

– جاءت رموزهم ذات طاقة إيحائية عالية، وشعرهم ينزع إلى الحرية والمساواة والإخاء.

– حملت قصائد شعراء الرابطة تجديدا على مستوى الشكل والموضوع.

قائمة المراجع:

1– إبراهيم محمود خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، أمانة عمان الكبرى، عمان، الأردن، 2003.

2– أحمد موزاوي، المذاهب الغربية وأثرها في الأدب العربي، د ط، دار الطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، د ت.

3– الحر عبد المجيد، إيليا أبو ماضي باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1995.

4– جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983.

5– حسين علي محمد، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2000.

6– زكي نجيب محمود، هذا العصر وثقافته، ط2، دار الشرق، بيروت، لبنان، د ت.

7– سلامة موسى وآخرون، النزعة الإنسانية في الشعر العربي الحديث، مجلة الآداب، العدد 9، 1953.

8– سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007.

9– عباس بن يحيى، مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د ت.

10– محمد إبراهيم حور، النزعة الإنسانية في الشعر العربي القديم، ط2، مكتبة المكتبة، العين، 1985.

11– محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د ط، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2005.

12– محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ط1، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986.

13– مصطفى هدار، التجديد في شعر المهجر، ط1، دار المعارف، مصر، 1957.

14– نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية دراسات في الشعر المهجري، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1989.

مراجع مترجمة:

01- رالف بارتون بيري، إنسانية الإنسان، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1989.